PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(10): 1078-1092
ISSN: 1553-6939

The Issue of Teaching Rhetoric in the Light of Modern Linguistics (Towards a Didactic Discourse that achieves Understanding, Taste and Communication)

Souhila Mefrouche[1]
[1]University of 20 August 1955 Skikda (Algeria).
The E-mail Author: s.mefrouche@univ-skikda.dz
Received: 04/2024 **Published: 10/2024**

Abstract:
When we consider that teaching Rhetoric is problematic, it is actually related to Arabic education in general, which needs a reconsideration and a vision in harmony with contemporay linguistic, critical data and utilise the findings of educational linguistics as a science that employs theoretical data in the functional applications of the educational and pedagogical process. This is what our study titled: The Problems of Teaching Rhetoric in the Light of Modern Linguistics (Towards an Educational Discourse that achieves Understanding, Taste and Communication) aims to analyze. So, how do we establish an effective rhetorical educational discourse in the light of modern linguistics? How do we read, understand and taste the literary phenomenon? Then, how does the rhetorical phenomenon achieve its aesthetic and communicative dimension ? Therefore, we followed a descriptive and analytical approach that explores and studies the phenomenon and seeks to suggest what might be useful to the way we renew rhetorical research by taking advantage of the efforts of linguistics and education in understanding the linguistic phenomenon
Keywords: Didactic discourse , Rhetoric, Didactics, Modern linguistics, Communication

إشكاليّة تدريس البلاغة في ضوء اللّسانيّات الحديثة (نحو خطاب تعليميّ يحقِّق الفهم والتَّذوّق والتَّواصل)

سهيلة مفروش[1]
[1]جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر).

ملخص

عندما نقول إنّ هناك إشكاليّة في تدريس البلاغة ، فإنّها في حقيقة الأمر إشكاليّة تتعلّق بتعليم العربيّة بشكل عام ،الذي يحتاج إلى إعادة نظر ورؤية تنسجم مع المعطيات اللّغويّة والنّقديّة الحديثة ، وتستثمر ما توصّلت إليه اللّسانيات التّعليميّة باعتبارها العلم الذي يوظّف المعطيات النّظريّة في التّطبيقات الوظيفيّة للعمليّة التّعليميّة والبيداغوجيّة . وهو ما تهدف إليه دراستي الموسومة ب :" إشكالية تدريس البلاغة في ضوء اللّسانيات الحديثة " (نحو خطاب تعليميّ يحقّق الفهم والتّذوّق والتّواصل). فكيف نؤسّس لخطاب تعليميّ بلاغيّ فعّال في ضوء اللّسانيات الحديثة ؟ وكيف نقرأ الظّاهرة الأدبيّة ونفهمها ونتذوّقها ؟ ثمّ كيف تحقّق الظّاهرة البلاغيّة بعدها الجماليّ والتّواصليّ ؟و لأجل ذلك اتّبعت منهجًا وصفيًّا تحليليًّا يستقرئ الظّاهرة ويحلّلها و يسعى إلى اقتراح ما يفيد في كيفية تجديد البحث البلاغيّ بالإفادة من جهود اللّسانيّات و التّعليميّة في فهم الظّاهرة اللّغويّة.

الكلمات المفتاحية: خطاب تعليميّ ، البلاغة ، التّعليميّة ، اللّسانيات الحديثة ، التّواصل.

1- مقدّمـــــة:

يتّصل الأدب العربي بفروع اللّغة الأخرى اتّصالا وثيقا؛ فاللغة العربية وحدة متماسكة الجوانب وظيفتها التحصيل والتعبير ،كما أن جميع فروعها تترابط وتتعاون من أجل الاستخدام الأمثل للغة استخداما سليما يبلغ المقاصد والغايات ويحقق الإفهام. وبظهور اللّسانيات الحديثة و فروعها المتعدّدة كالتعليمية ، برزت نظريات و تصوّرات جديدة لفهم اللغة، فبات من الضروري استثمار ما توصلت إليه في مجال تعليم اللغة العربية و فروعها المختلفة، وبما أنّ البلاغة من أقرب الفروع إلى الأدب لأنّ غايتهما واحدة وهي تكوين الذوق الأدبي، وطريق كل منهما هو النصوص الأدبية ،وجب إعادة النّظر في تعليم البلاغة بوصفها فنّا يعمل على تنمية الذائقة الفنية و الأدبية لدى المتعلمين ، وباعتبارها كذلك علما يسهم في الكشف عن معاني النصوص والوقوف على مواطن الجمال فيها، وتنمية مختلف الجوانب والمهارات اللغوية و الإبداعية . فكيف نجدد الخطاب البلاغي بالإفادة من جهود اللسانيات والتعليمية في فهم الظّاهرة اللّغوية ؟ وكيف يحقق تعليم البلاغة غايته في جعل المتعلم قادرا على التّذوّق وحسن التّصرّف اللّغوي في المواقف التّواصلية المختلفة ؟ لكن قبل ذلك ما البلاغة ؟

2- ما البلاغـــــة ؟

تعدّدت تعريفات اللّغويين والنّقاد للبلاغة واختلفت بين القدامى و المحدثين ومنها:

2-1- لغـةً:

جاء في اللغة : حسب معجم (لسان العرب) أن البلاغة تعني الانتهاء والوصول يقال :« بلغ الشيء يبلغ بُلوغاً، وصل وانتهى ، وأبلغه هو إبلاغاً و بلغه تبليغاً ، ...والبلاغة تعني الفصاحة والبَلَغُ و البلْغ :

نقول البليغ من الرجال ، ورجلٌ بليغٌ وبلْغٌ : من كان كلامه فصيحا حسنا . ويبلغ بعبارة لسانه مكنونات ما في قلبهِ ، والجمعُ بلغاء وقد بلُغ (بالضم) بلاغةً أي صار بليغاً . و قول بليغ أي بالغ و قد بلغ . والبلاغات كالوشايات ». (منظور، 2003) ويقول الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) : »بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ ، وهذا قول بليغ ،وتبالغ في كلامه تعاطى البلاغة وليس من أهلها وما هو ببليغ ، وبلغ الفارس: مد يده بعنان فرسه ليزيد في عدوه ، ووصل رشاءه بتبليغة». (الزمخشري، 2009)

وعليه فقد ارتبط مفهوم البلاغة بالوصول والانتهاء إلى الشّيء وبلوغه، و الفصاحة و البلاغة بمعنى واحد وهو إبانة المعنى و الإظهار له .

2-2- اصطلاحًـــا:

فلعلّ أحسن ما يذكر في تعريف البلاغة ما جاء في" البيان و التبيين" للجاحظ عن عمرو بن عبيد في قوله : " البلاغة تخيّر اللفظ في حسن الإفهام " وهي عند العتابي :" إفهام الحاجة دون إعادة ولا استعانة أو حبسة . (الجاحظ، 1981)،فالكلام البليغ هو الذي يسبق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى السمع أسبق من معناه إلى القلب.

وعرّفها القزويني بأنّها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته (القزويني، 2002) فأولى بذلك أهمية لكل من الكلام الذي يقتضي متكلما و سامعا ، و الحال ، والفصاحة التي ترتبط بالمتكلم في أدائه و بالكلام من حيث تشكيله .أما البلاغة عند العسكري :" فهي كل طريقة توصل بها المعنى إلى السامع ، فيفهمه .(العسكري، 1420ه)

أما ابن المقفع فيرى أنّ البلاغة اسم جامع تندرج تحته العديد من المعاني، « فقد تأتي في السكوت ، ومنها ما قد يأتي في الاستماع ، ومنها ما يحصل في الإشارة أو في الاحتجاج ، و أحيانا تكون في الجواب ، وأحيان أخرى تأتي شعرا ، أوسجعا وخطبا ، ومنها ما يكون رسائل ، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة.»(ضيف، دت)

وعلى هذا النحو تكون البلاغة في السّكوت ؛ أي السّكوت في مواقف معينة و سياقات محددة تقتضي ذلك ، كما تكون في الاحتجاج و فن الرد ، وتكون جوابا في الوقت المناسب ، وتكون في كل أصناف الكلام شعرا أو نثرا أو خطبا أو رسائل كما تكون كذلك في الإيجاز . كما كان لمصطفى صادق الرافعي رأي في البلاغة ومفهومها ؛فيرى أن البلاغة التي حيرت العلماء بسبب تعريفاتها التي تعددت و اختلفت و اتّخذت لها أبواب عدة و وجوه كثيرة ،إنّما هي عنده لا تتعد كلمتين ، قوة الخيال والتصور ،

والقوة على الموازنة بين الخيال والحقيقة وضبط النسبة بينهما، وهاتان الصفتان في الانسان تقابلان الإبداع والنظام في الطبيعة . (البدري، 1991) .

ممّا تقدم من التعاريف نلاحظ أنّها تؤكد على أنّ البلاغة هي طريقة إبلاغ المعنى المراد و إيصاله إلى المتلقي (السامع) بأسلوب حسن و طريقة مقبولة ، كما أن البلاغة عند بعضهم هي مناسبة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته .وهي كذلك الإيجاز.

ولم تستثن البلاغة من اهتمامات النقاد والبلاغيين المحدثيـن حيث يعرفها أمين الخــولي بقوله : « البلاغة هي فنية القول ، وإذا ما كان الفن هو التعبير عن الإحساس بالجمال ، فالبلاغة هي البحث في كيف يعبر القول عن هذا الإحساس» (ذريل، اللغة و البلاغة، 1983)

3- نشأة البلاغــة وتطوّرهـا :

لطالما عرفت العرب في الجاهلية بمكانته الرفيعة من البلاغة والبيان ، وقد صور القرآن ذلك في غير موضع منه ،ولعل أكبر دليل على حسن بيانهم أن كان معجزة الرسول الكريم وحجته القاطعة لهم أن دعا أقصاهم و أدناهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة ، و لعل هذا يشير بصورة واضحة إلى ما أوتوه من الفصاحة، و القدرة على صناعة القول، كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما يجري فيها من جودة الإفهام و بلاغة التعبير» .(ضيف، دت) حيث كانوا يحتكمون إلى السليقة والذوق في التمييز بين الكلام البليغ وما هو أقل منه درجة.

وقد ظهرت منذ العصر الجاهلي ملاحظات نقدية ومآخذ لاسيما على القول الشعري ؛ فكثيرا ما كانوا يلقبون شعراءهم ألقابا تدل على مدى إحسانهم –في رأيهم –مثل المهلهل والمرقش والمثقب والنابغة .ومما لاشك فيه أن أسواقهم الكبيرة عملت على نشأة هذا الذوق وخاصة سوق عكاظ ، ثم تطورت هذه الملاحظات بعد ظهور الإسلام نتيجة تحضر العرب واستقرارهم في المدن و الأقطار المفتوحة ،ونهضتهم العقلية ، ثم الجدل الشديد الذي قام بين الفرق الدينية المختلفة في شؤون العقيدة والسياسة .(عتيق، 1985)، فكان طبيعيا أن تكثر الملاحظات البيانية والنقدية ، فمن يتصفح أشعارهم يجدها تزخر بالتشبيهات والاستعارات وتتناثر فيها ألوان من المقابلات والجناسات مما يدل دلالة واضحة على أنهم يعنون عناية واسعة بإحسان الكلام والتفنن في معارضة البليغة. (ضيف، دت)

ولا شك أن القرآن الكريم قد أثر تأثيرا بالغا في نشأة البلاغة، حيث حرص العلماء على دراسة القرآن والبحث في سر إعجازه كما اتخذت آياته شواهد على أبواب البلاغة وموضوعاتها ، واعتبارها مثالا يحتذى

في جمال النظم و دقة التركيب . فقالوا : « أن من أهم العلوم و أحقها بالتعلم و الأخذ بها هو علم البلاغة إلى جانب ، فلا يكون الواحد منهما دون الآخر ، فإذا ما الإنسان علم البلاغة و غابت عنه المعرفة بالفصاحة ، لم يعلم بإعجاز القرآن ما اجتباه الله به من حسن التأليف وبراعة التراكيب إضافة إلى ما تضمنه من الإيجاز البديع . »(حسين، 2001)

وقد كان لعلماء اللغة أثر في مد تيار البلاغة بينابيع من دراساتهم في اللغة وبحثهم في الألفاظ وبيان ما يعتريها من خفة أو ثقل وما يطرأ عليها من تنافر أو تلاؤم ،كما كان لطائفة المتكلمين أثرا بالغا في البلاغة العربية و إليهم يرجع الفضل في وضع كثير من مصطلحاتها و أسسها منها تقسيم الكلام إلى حقيقة و مجاز ، وتقسيم علوم البلاغة إلى معان وبيان وبديع . (حسين،1985).

ولا يغفل دور الأدباء من شعراء و كتاب في إرساء قواعد البلاغة، فمن الشعراء نجد ابن المعتز الذي أسس لعلم البديع ، أما الكتاب فقد أسهموا بذوقهم السليم وحسهم المرهف وثقافتهم الواسعة و إلمامهم بفنون الكتابة في صبغ أبحاثهم بصبغة أدبية ، فخرجت في أجمل صورة مما غرس في النفوس الميل الشديد إلى حب البلاغة وتعلمها ، ولا ريب في أن ذلك أفاد البلاغة العربية و جرى بها أشواطا نحو التقدم والإزهار .(حسين، 1985)

3-1- واقع الخطاب التعليمي البلاغي في الجامعة:

تعدّ البلاغة من أقرب الفروع إلى الأدب لأن غايتهما واحدة وهي تكوين الذوق الأدبي ، وطريق كل منهما هو النصوص الأدبية. ومما لا يخفى على أحد أنّ هناك ضعف واضح يعانيه متعلمو اللغة العربية واستعمالها في مختلف الظروف والمقامات ، وفي تلقي النصوص بشتى أنواعها ومنها الأدبية ، كما أنّ المتأمل لواقع تعليمية البلاغة في مختلف المراحل التعليمية ومنها التعليم الجامعي ، يقف عند حقيقة مفادها أنّ " الحس الجمالي عند المتعلم يكاد يكون مفقودا في ظل الإعراب البلاغي الذي همه استخراج الصور البيانية والمحسنات البديعية ، فليس ثمة شغف باللغة لا في مجال وصف ولا في غزل حتى ، وكأن التلاميذ في تناولهم للغة سياح أجانب يستخدمون اللغة للتواصل وبأضعف التعابير" (مفقودة، 2000)

فالخطاب التعليمي البلاغي عاجز عن إعداد المتعلم القادر على التعبير والتواصل و التذوق ،و القادر على التعمق في التفكير و الخلق و الإبداع .ولاشك أن ذلك مرده أسباب عديدة حالت دون تحقيق

البلاغة لأهدافها منها ما هو متعلق بأهداف تدريسها ومنها ما يخص طبيعة المحتوى و منها ما هو متعلق بطرائق تبليغ هذا المحتوى ومنها ما يعود إلى المعلم والمتعلم وغيرها من المشكلات...

فمن يطّلع على أهداف تدريس البلاغة في البرامج الدراسية وكتب تعليم البلاغة يجد ها تجتر الأهداف نفسها ؛وهي من حيث صوغها ودلالاتها غايات يصعب تحقيقها إلا في نهاية المرحلة التعليمية كلها، وفي أحسن الظروف .وعادة ما تدرج أهداف تدريس البلاغة مع أهداف تدريس الأدب ومن بين أهدافها تمكين المتعلم من:

* فهم الأدب وتذوقه بحيث لا ينحصر عند المعنى الكلي للنص فحسب ،بل يتعداه إلى البحث في السمات اللغوية والمزايا الفنية.

*بيان مظاهر الجمال الفني في الأدب ، والوقوف على العناصر الفنية التي أسهمت في إحداث هذا الجمال ، ومدى تأثيرها في النفس.

* تمكينهم من القدرة على التمييز بين الأدباء والمفاضلة بينهم ،والمساهمة في إبدا الرأي و تقويم إنتاجهم تقويما جيدا.

* تهذيب الذوق الأدبي و تنميته في المتعلمين و تمكينهم من الاستمتاع و الإعجاب بما يقرؤون من النصوص الأصيلة الرائعة ،ومن ثم تمكينهم أيضا من الإنتاج الجيد سواء كلاما أم كتابة محاكاة لهذه الأنماط البلاغية التي يستجيدونها .(ابراهيم، 1991)

فغاية تعليم البلاغة هي تنمية الحس المرهف وجعل المتعلم قادرا على تذوق الأساليب والوقوف على مواطن الجمال ، وتنمية ملكة التواصل لدى المتعلم كتابة ومشافهة ، استقبالا وإنتاجا ، وتمكينه من الأدوات البلاغية ،وإكسابه حسن التصرف اللغوي في المواقف المختلفة عند إنتاجه الخطاب المناسب . غير أنّ واقع تعليمها يكشف لنا جليا أنّ درس البلاغة غلب عليه الطّابع الفنيّ الوجدانيّ ، فما يكون للطّالب من جهد يبذله في هذا الدرس سوى النقد و المفاضلة بين تعبير وتعبير آخر، أو بالأحرى بين أديب و أديب آخر، لينتهي في الأخير إلى حكم أدبي بالقبح أو الجمال.

وهذا ما أفضى بنا إلى القول إنّ مادة البلاغة "تحجّرت" بعد أن خلعت منها الرّوح واختزلت في عبارات جافة بعيدة عن كل دلالة بالنسبة للمتعلم . فقد ترسخ للطلبة عن البلاغة المفهوم القديم التي تمثله منقسما إلى المعاني والبيان والبديع الذي يتخذ شكل قواعد جازمة وتعاريف محددة وصيغ لا تكاد تنفتح على جديـــد . على الرغم من كون هذا العلم في بداياته لم يكن كـذلك و إنّما كان جملة من الملاحظات التي

تنطلق من روح المنشئ في إنشائه للأثـر الأدبي على هذه الصـورة أو تلك ... ومن تجـاوب المتلقي وحاجته إلى أن يأتي التعبير على هذه الصورة أو تلك .(مختاري، 2000) ، يقول صلاح فضل: « ربما تبـدو البلاغة في بعض الأحيان ساذجة في نزعتها التقعيدية الصارمة لكنها بالرغم من ذلك أحق العلوم القديمة بتسمية "العلم " فبقدر اتّساع ملاحظاتها ودقّة تحاليلها وتعاريفـها وقوة تصنيـفها وخضوعها للمنطق بقدر ما تمثل دراسة منظمة لوسائل اللّغة التعبيرية» (فضل، 1998)

وإذا ما نظرنا في طرائق التبليغ نجد أن دروس البلاغة تقدم بالطرائق التقليدية التي تقوم على التلقين والحفظ والإعادة الآلية للدروس،دون إعمال العقل والقدرة على الاستنتاج والتركيب ،فهمّ المدرس هو الاهتمام بالمصطلحات والتعريفات و التقسيمات اهتماما بالغا على حساب النواحي التذوقية ،و الانصراف عن تبيين أوجه الجمال في الأساليب .فيعجز الكثير من الطلبة بذلك عن إثبات فهم المعطيات اللغوية النظرية التي قدمت لهم إجرائيا واستثمارها وظيفيا في واقعهم المعيش.

وفي هذا السّياق قمت باستبيان **طلبة من (السّنة الأولى ليسانس)** وشمل الاستبيان **(182 طالبًـــا)** ،سعيت فيه إلى استقصاء جملة الصعوبات التي يعاني منها الطّالب في تلقّيه لهذه المادة التّعليمية ،من خلال طرح مجموعة من الأسئلة منها ما تعلّق بمحتوى المادة و منها بالطّريقة كما هو موضّح في الجدول الآتي :

جدول1: صعوبات الطلبة في مقياس البلاغة.

الأسئلة المقترحة	الفرضية	عدد إجابات الطلبة	النسبة المئوية
1-هل تحب مقياس البلاغة؟	نعم أحبه	45	**%24.72**
	لا أحبه	99	**%54.39**
	أحبه بعض الشيء	38	**%20,87**
2-كيف ترى مقياس البلاغة؟	مقياس سهل	40	**%21,97**
	مقياس صعب ومعقد	101	**%55,49**
	مقياس في المتناول	41	**%22,52**
3-محتوى مادة البلاغة	تراثي	97	**%53,29**
	حداثي	49	**%15,93**
	مزيج بين التراثي و	36	**%19,87**

	الحداثي		
4-طريقةعرض مادة البلاغة	المحاضرات – إلقاء أو مطبوعة	126	**%69,23**
	التطبيقات	56	**%14,28**
	الاستعانة بالوسائل الحديثة –كالفيديو مثلا	0	**% 0**
5-هل التطبيقات كافية في مادة البلاغة ؟	نعم كافية	12	**%6,59**
	غير كافية	145	**%79,67**
	نوعا ما	25	**%13,73**

يؤكّد الطّلبة من خلال إجاباتهم أن لا حاجة لهم بالبلاغة العربيّة، و هم معرضون عنها بنسبة فاقت **54,39 %**،فهي في رأيهم مقياس قديم تراثي معياريّ لا تتعدّى أن تكون دراستها أكثر من جولة بين الآثار القديمة أو وقفة على الأطلال. حيث لا تزال النّصوص المأخوذة من كتب التّراث تسيطر على محتوى مادة البلاغة بنسبة **53,29%**،ولا يتم الاستعانة فيها بدراسات حديثة تقربهم من واقعهم ،و نتيجة لذلك يرى جلّ الطّلبة أنّ مقياس البلاغة مقياس صعب و جافّ لا يخرج عن التّنظير والتّقعيد والشّروح الفلسفية "« و هذا عيبنا – فقد فتحنا أنظار طلابنا على البلاغة يوم تحجّرت ، .ولم ندلّهم عليها يوم مثلت الذوق العربي الأصيل ، و ثوب الجمال الفني الرائع البديع- ثم جئنا اليوم في كلية الآداب نطلب إليهم دراستها والعناية بها، و ما هي في نظرهم إلا جثة محنطة »(المبارك، د.ت)

و قد شبه لي الطلبة هذا المقياس بالنحو في صعوبته و طبيعة مادته الجافة ،إذ تكثر فيه الحدود المنطقية والصنعة المتكلفة، والقوالب الجامدة ، إضافة إلى كثرة محاوره ومصطلحاته المتشعبة مثل درس" الحقيقة" و "المجاز" الذي أجمع الطلبة على عدم استيعابه بشكل كبير جدا، ويضاف إلى ذلك درس "أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة " الذي شكل إن جاز التّعبير صدمة أو حبسة معرفية للطّالب لاسيما أنّه مبرمج في بداية المقرّر ، وكل هذه المعارف لا تزال تقدم بالطريقة التقليدية التي يعتمد فيها الأستاذ على المحاضرات المكتوبة و طريقة الإلقاء التي تشعر الطالب بالملل و تقتل فيه الدافعية و الحماس نتيجة غياب التفاعل ووسائل التحفيز ، إضافة إلى عدم استعمال الوسائل التكنولوجية الحديثة القريبةمن واقع المتعلم ، يضاف إلى ذلك كلّه قلة التدريبات حسبهم التي تصل نسبة غيابها إلى**.79,67 %.**

فالمسألة إذن أنّنا نعلم اللّغة بصفة وإجراءات تلقينية وقوالب صمّاء غير وظيفيّة بعيدة عن المنطق و ذوق اللّغة ومن هنا يقع النّفور من مادة البلاغة .يضاف إلى ذلك قلة التدريبات.

_ إنّ الممارسات التعليمية الحالية حالت دون تحقيق الأهداف المرجوة وكرست فساد الذوق وغلبة الصنعة والتكلف والبعد عن الطبع ومن الخطأ البين في تدريسها أن نكتفي بذكر التعاريف وتلفيق الشواهد واستخلاص القواعد وإصدار الأحكام أو جعلها مباحث يختبر فيها العقل بهذه التعليلات الفلسفية القيمة بل يجب أن يكون الأساس الذي يقوم عليه تدريسها هو عرض النصوص الأدبية البليغة واستبطان ما فيها من النواحي الجمالية وجعلها وسائل تعمل على تكوين الذوق الأدبي ، و إدراك مظاهر الجمال في الكلام البليغ .(فرفوري، 2017)

3-2- نحو خطاب بلاغيّ يستثمر معطيات اللّسانيات الحديثة:

شكّلت اللسانيات بظهورها نقلة نوعية ،و ثورة في المشهد المعرفي العالمي ،تمخض عن ذلك بروز فروع علمية جديدة كاللسانيات النفسية والعصبية والاجتماعية والحاسوبية و كذا التعليمية .و تعددت التطبيقات اللسانية في مجالات تعليم اللغات والترجمة وتحليل الخطاب وغيرها ...علاوة على ما استجدّ من تصورات ونظريات مختصة بدراسة الظاهرة اللغوية.

ويعدّ مجال تعليم اللغة العربية وفروعها من نحو و صرف وبلاغة وغيرها أحد أبرز الميادين التي لم تستثمر استثمارا كافيا ما أفرزته اللسانيات من نتائج في تعلم اللغة و تعليمها. فكان لزاما على المشتغلين بحقل التدريس والتعليميات استثمار اللسانيات كعلم جديد يقوم على قراءة جديدة للغة ، حيث أثبتت الأبحاث فعالية هذا العلم في نقل تعليم اللغة من طابعها التقليدي إلى مجال آخر يجعل المتعلم قادرا على اكتساب أمثل للغة وعلومها ، فاللسانيات توفر للمعلم معرفة المعطيات النفسية والاجتماعية والتربوية الكفيلة بتقديم دروس لغوية تراعي حاجات المتعلمين و ميولاتهم وقدرتهم على التعلم والاستيعاب.

فعلى المعلم أن يتسلح بأدنى المعلومات عن النظريات الحديثة وما جد على صعيد البحث اللساني وخاصة في مجال التعليميات ، وأن يمتلك ملكة تعليم اللغة العربية ، وتعليم اللغة في مواقف حية فاللغة استعمال وتطبيق وليس تنظير وتقعيد .كما أن حيوية اللغة تقدر بالإضافة إلى كثرة استعمالها في التخاطب اليومي العفوي الذي لا صنعة فيه ولا تكلف ، فإذا انحصر استعمالها كما يقول الد. عبد الرحمن حاج صالح في بعض المناسبات ، وبعض الظروف المعينة كالخطب والمحاضرات والندوات الرسمية

والنشرات الإخبارية ، وغيرها ،انقطعت عن الواقع المعيش ، وصارت لغة هامشية ، وعجزت عن تأدية الكثير من مفاهيم الحياة . (صالح، 2012).

وعليه فإنّ تجديد الخطاب البلاغي يقتضي الإفادة الواعية من جهود اللسانيات والتعليمية في فهم الظاهرة اللغوية ، يضاف إليها خبرة المدرسين وحاجات المتعلمين ،ومن ثم فإن أمر تيسير تعليم البلاغة موكل إلى مجموعة من العوامل يجب أن تتضافر كلها منها:

–الانطلاق من حاجات المتعلم وميولاته ، لأن مراعاة حاجات المتعلم وتصوراته تعد مطية للتعلم ، وكل تعلم ناجح إنما يراعي حاجات المتعلم و تصوراته الأولية ، فذلك يثير دافعيته و يشوقه للتعلم و ينمي ملكته التبليغية ، فيمكنه من استعمال اللغة بحسب ما تقتضيه الأحوال المختلفة بالاستثمار الفعلي لها . (إبرير، 2001)

–تجريد البلاغة من كلّ ما لحق بها من قضايا فلسفية و منطقية كالمصطلحات والتقسيمات ، مع ضرورة النظر في طبيعة المصطلحات والمفاهيم التي تأثّرت بعلم الكلام ،فالتصنيفات الكثيرة في البلاغة أصبغ عليها صبغة علمية تجريدية و أفقدها بهاءها ووظائفها المهمة في تنمية الذوق الأدبي ودراسة الأساليب المناسبة في التأثير والإقناع .(طاهر، 2016) فما فائدة مثلا تقسيم الكلام إلى الخبر والإنشاء ، وقضية الصدق والكذب في الخبر ، ثم ما فائدة تقسيم الاستعارة إلى مكنية و تصريحية وغيرهما ،فيجب التركيز على تحليل البنية التركيبية وبيان الوظيفة اللغوية والجمالية.

–إحداث تغيير في المصطلحات و تجديدها : ويكون بإعادة النظر في محتواها وصياغتها ؛فيركز في محتوياتها على توضيح المفهوم والوظيفة ،و أما طريقة الصياغة فيتم فيها مراعاة عناصر معينة :كالوضوح في استعمال الكلمات والعبارات والابتعاد عن أي كلمة تحتمل التأويلات أو ذات إيحاءات ودلالات فلسفية،« كما يجب أن تسوق هذه المصطلحات بشكل تدريجي للطلبة حتى لا يظنوا أنها هي الغاية الأساسية في تدريس البلاغة »(عاشور والحوامدة، 2009)

–ضرورة تمثل المصطلحات و مفاهيمها من المجال النظري إلى التطبيقي و استيعابها استيعابا جيّدا وفق منظور يقضي بإعادة تنظيم المعرفة البلاغية وتبسيط نماذجها مع الوقوف على بنياتها التركيبية ووظائفها الجمالية ، بغية الوصول بالظاهرة البلاغية إلى تحقيق الفائدة منها و هي التواصل والإمتاع.

–إنّ الحياة الحديثة قد تطوّر ذوقها وتطورت حاجتها الفنية حيث أصبح التطور الفني يؤثر النظرة الشاملة ولا يقف طويلا عند الجزئيات ، ومن ثم وجب على البلاغة أن تساير هذا التطور وتتجاوز الوقوف

عند الجملة إلى النّص بأكمله .أي أنّ الدّرس البلاغي الجديد لا بد له من أن ينتقل من بلاغة الجملة إلى بلاغة النّص ، مع تكييف الأمثلة والنّصوص التعليمية من أجل تحقيق هذا المبتغى من خطبة ومقالة و قصة و قصيدة وغيرها ، فلا يجزئ الطّالب الجمال الموجود في هذه النّصوص بقدر ما يتناولها ككل متكامل وينظر في تماسكه و حسن ائتلافه ولعلّ القدامى قد تنبهوا إلى أدوات تماسك النّص فشاعت عندهم مصطلحات السّبك و الحبك و التّلاؤم والانسجام ... وغيرها واعتبروها معايير بلاغية تسهم في معرفة البنية اللغويّة للنّصوص وخصائصها.

–كما يجب الاعتماد على طرائق حديثة أثناء تدريس البلاغة ،حيث تؤكد جل المناهج الحديثة على جعل الطالب محور العملية التعليمية التعلمية . ومن بين هذه الطرائق طريقة المناقشة التي تعد من طرائق التدريس الفعالة التي تملأ الصف حيوية ، وتبعد الموقف التعليمي عن الرتابة والضجر .فهي عملية منظمة وممنهجة لإدارة الحوار والحديث بين المتعلمين داخل الصف، وتساعد على زيادة فعالية الطلبة و إشراكهم في الموقف التعليمي . كما تشجع الطالب على التعاون وتدربه على التواصل الفعال و النقد البناء والاعتماد على نفسه ،وتنمي فيه حب الإبداع، وتراعي الفروق الفردية بين الطلبة ، وتنمي استعداداتهم وميولاتهم وقدراتهم ومهاراتهم ،وهذا يعزز شخصية الطالب وثقته بنفسه ويجعله مشاركا فعالا في التواصل وغير متلق فحسب. (الوائلي، 2004)

فطريقة المناقشة في تدرس البلاغة تعين الطالب على دراسة النص الأدبي و دراسة جمالية أفكاره ، وتناقش معانيه وتحلل الصيغ البلاغية فيه فيوازن بينها وبين غيرها في معناها ليدرك الطالب سر الفن البلاغي في المعنى.

_من المعلوم أنّ البلاغة من الفنون الأدبية التي تخاطب الوجدان و تعمل على تكوين الذوق والحس الجمالي، وهي تختلف عن العلوم العقلية التي تغذي العقل بما تضيفه من معلومات جديدة وحقائق ،فالطابع الغالب عليها هو الطابع الفني الوجداني ، ومن هنا كانت صلتها بالآداب جد وثيقة ومن واجب المدرسين حين يعرضون لمناقشة الألوان البلاغية في النص الأدبي أن يتجهوا اتجاها أدبيا خالصا لا تشوبه البحوث العقلية، فيقوموا النّص من حيث الفكرة والعبارة و يقدروا حظ الأديب من المهارة الفنية ولا يستهلكوا الوقت والجهد في استنباط التعاريف وتحديد اللون البلاغي وتسميته بالاسم الاصطلاحي دون تعرض لكشف أسرار الجمال ، فهذا المسلك لا ينفع في تنمية الذّوق الأدبي ويجعل البلاغة محبوسة في إطار المنهج العلمي الفلسفي الذي تأباه طبيعتها الفنية .(ابراهيم، 1991)، ومن جانب آخر البلاغة فطرية في

الكلام العربي و« "كثيرا ما نستخدم الكثير من ألوانها في حديثنا اليومي بالعامية من تشبيه و استعارة و كناية و سجع و يمكن توظيف ما درج على الألسنةو شاع استعماله في تدريس البلاغة و مقارنتها بنظائرها في الكلام الفصيح »(عاشور والحوامدة، 2009)

فمثلا في بيان أثر السّجع في الكلام يعرض المدرس على التلاميذ العبارات المسجوعة ومعها عبارات أخرى تؤدي المعنى محررة من السّجع ، وبالموازنة بين النّوعين يدرك التلاميذ الجمال الفني في السّجع مثال : يقول المنفلوطي في الرحمة : « **فيا أيها السعداء ، أحسنوا إلى البائسين والفقراء وامسحوا دموع الأشقياء وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** .» ففي هذا القول سجع مقصود من المنفلوطي بغرض التأثير في قلوب الأغنياء والدفاع عن قضية الفقراء فكانت أداته في التأثير إنما هذا القول المثير المسجوع . ولو عبرنا عن معنى المنفلوطي بعبارة أخرى محررة من السجع كقولنا : **أحسنوا إلى الفقراء ، وامسحوا دموع البائسين وارحموهم يرحمكم الله** . فسوف يتبين لنا الفرق الشاسع بين العبارتين من حيث عذوبة النطق في اللسان وجمال الوقع على الآذان ». (ابراهيم، 1991)

وكذلك الحال بالنسبة إلى الوقوف عند بلاغة الاستعارة وتذوق جمالها وفهم سرها و أثرها في بلاغة التعبير ؛فمثلا يأتي الأستاذ ب قول الشاعر **(و إذا المنية أنشبت أظفارها)** إذا أراد الشاعر أن يستغني عن الكلمة المستعارة و يعبر بالكلمة الحقيقية فيمكن القول مثلا **(و إذا المنية أقبلت)** أو **(و إذا المنية حل موعدها)** فأيهما أقوى تصويرا للمنية أقبلت أم أنشبت أظفارها ، فتكون الإجابة أنشبت **أظفارها** . لماذا ؟ لأن عبارة " أنشبت أظفارها " أبلغ تعبيرا لأنها جسمت المنية في صورة وحش مفترس مخيف.

إذن أيهما أبلغ في هذا السياق ؟ التعبير الحقيقي أم الاستعارة ؟

–الاستعارة.

–ماذا قدّمت للمعنى؟

– أضافت للمعنى قوة و تأثيرا، وصورت **(المنية)** في صورة حسية قريبة من السامع وتعبر عن إحساس الشاعر المصاب المحزون. (ابراهيم، 1991) وهكذا بالنسبة لتذوق الأساليب حيث يعرض المدرس لمجموعة من الأقوال لمجموعة مختلفة من الأدباء شعرا و نثرا شرط أن تكون مشتركة في الموضوع ثم تدرس هذه النّصوص قراءة وشرحا ثم تناقش من حيث اتحادها في الموضوع واشتراكها في بعض المعاني واختلاف الأدباء في طريقة التّعبير عن هذه المعاني . ويركّز المعلّم ويلفت انتباه الطّلبة إلى إدراك ما بين الأدباء من اختلاف في طريقة عرض هذه المعاني بالوقوف على جملة من الخصائص منها الألفاظ ،

و الاختصار والإطالة في التعبير عن الفكرة ،الحقيقة والمجاز، الإخبار والطلب إلى غير ذلك من فنون الأداء وطرائق التّعبير . وبهذا يدرك الطلبة الاختلاف بين الأدباء في طريقة التّعبير عن أفكارهم، واختيار ألفاظهم وتأليفها على نسق معيّن. (ابراهيم، 1991).و يجب في كلّ هذا على المعلم أن يثير الدّافعية والرّغبة في التّعليم لديهم ،عن طريق تكليفهم بالعودة إلى نصوص أدبية و استخراج اللون البلاغي ، و هنا ينمي فيهم حب المطالعة و الاستئناس بالمكتبة ، بالإضافة إلى أنّ الطّالب حينما يختار النّص من تلقاء نفسه فإنه يقبل عليه بحماس و نهم ،إضافة إلى القيم والاتجاهات التي يحتويها النص الأدبي . (عاشور والحوامدة، 2009) ومن هنا يحرص المعلّم على تدريب الطّلبة على محاكاة النّماذج الأدبيّة الثّرية بالصّور البارعة و الأخيلة الرائعة لصقل مواهبهم وتنمية مهارة التّذوق الفني لديهم.

4- الخاتمة:

إنّ نجاح الدّرس البلاغي يظلّ مرهونا بالقدرة على الاهتداء إلى مواطن القوة و الجمال في النّص ، كما يتوقّف على تزايد اهتمام المعلّم بفهم هذه النّصوص وتذوّقها ،من خلال التّركيز عن نواحي القوة والجمال في التّعبير البلاغي من خلال تحليل بنيته التركيبية ووظائفه الجمالية ،و كذلك تمكين الطّلبة من الّتفاعل وإظهار شخصيتهم الفنية، ما يولّد فيهم حب العمل والإبداع ، وتنمية ملكة التّواصل لديهم كتابة ومشافهة ، وتمكينهم من الأدوات البلاغية وحسن التّصرّف اللغوي عند إنتاج الخطاب في المواقف و السياقات المختلفة .

5- المراجع:

1. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين،(2003). لسان العرب، دط،ج2، دار صادر، بيروت ،مادة " بلغ."
2. إبرير بشير ،(2001). التواصل مع النص .من أجل قراءة فعالة محققة للفهم ، مجلة اللغة العربية ، المجلس الأعلى للغة العربية ،ع4،ص ص 223-230.
3. بالطاهر بن عيسى ، إشكالية تجديد البلاغة العربية (رؤية في المنهج و طرائق التعليم)، مأخوذ من موقع الانترنيتWWW . abgadi .net بتاريخ 13 مارس2019.
4. البدري مصطفى نعمان ،(1991). الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد ،ط1، دار الجيل ، بيروت .
5. حاج صالح عبد الرحمن ،(2012) بحوث ودراسات في علوم اللسان ، موفم للنشر ،الجزائر.

6. حسين عبد القادر،(2001) المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة والنشر ،القاهرة.
7. الجاحظ أبوعثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين،(1998). تح عبد السلام هارون ، ج 1، ط1، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
8. ذريل عدنان ،(1983). اللغة والبلاغة،ط1 ،دار غريب
9. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر،(2009). أساس البلاغة ، قراءة و ضبط وشرح د محمد نبيل طريفي ، ط1 ، دار صادر، بيروت.
10. السكاكي يوسف بن أبي بكر ،(1981). مفتاح العلوم ضبط وتعليق نعيم زوزو، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت .
11. ضيف شوقي ،(د.ت). البلاغة تطور وتاريخ ، ط9،دار المعارف ، مصر .
12. عاشور راتب قاسم ، والحوامدة محمد فؤاد ،(2009) فنون اللغة العربية و أساليب تدريسها بين النظرية و التطبيق ،ط1، عالم الكتب الحديث للنشر ، إربد ، الأردن .
13. عبد العليم إبراهيم ،(د.ت). الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ، ط 14،دار المعارف ، مصر.
14. عتيق عبد العزيز،(1985) .علم البيان ، دار النهضة العربية للنشر ، بيروت .
15. العسكري أبو هلال ،(1420). الصناعتين ، ط1 ، مكتبة الخانجي.
16. فرفوري ياسين ،(2017). تدريس نشاط البلاغة وفق اللسانيات التداولية . عدد خاص بأعمال ملتقى وطني حول تدريس اللغة العربية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة ، مجلة لغة كلام ، المركز الجامعي غليزان.
17. فضل صلاح ،(1998). علم الأسلوب مبادؤه و إجراءاته ،ط1، دار الشروق ،مصر.
18. القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ،(2002). الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبديع ،ط1، دار الكتب العلمية ، لبنان .
19. المبارك مازن ،(د،ت).الموجز في تاريخ البلاغة ، دط ، دار الفكر ، بيروت، لبنان.
20. مدني مختاري ،(2000).تحليل النص الأدبي الواقع و الآفاق. أعمال الندوة الوطنية إتقان العربية في التعليم ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.
21. مفقودة صالح ،(2000).تعليمية النص الأدبي في مرحلة التعليم الثانوي .مجلة المبرز ،عدد خاص بالملتقى الوطني في تعليميات العلوم الإنسانية ،ماي .

22. الوائلي سعاد عبد الكريم عباس،(2004).طرائق تدريس البلاغة والأدب والتعبير بين التنظير والتطبيق،ط1، دار الشروق للنشر ، الأردن.